

عنوان الخطبة	أين المستغيثون؟
عناصر الخطبة	١/ قلة المصلين في صلاة الاستسقاء وسببه ٢/ من دلالات صلاة الاستسقاء ٣/ أعمار المتخلفين عن صلاة الاستسقاء ٤/ من آثار الذنوب والمعاصي ٥/ الحث على إحياء شعيرة الاستسقاء
الشيخ	احمد الشاوي
عدد الصفحات	١٠

الخطبة الأولى:

الحمد لله مغيث المستغيثين، مجيب دعوة المضطرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كاشف كرب المكروبين، ومسبغ النعم على عباده أجمعين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه وأتقاهم لمولاه وسيد المستغفرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم، وإن تؤمنوا وتتقوا يفتح لكم بركات من السماء والأرض.

اثنان وخمسون يوماً مدته، مضى أكثرها وتلاشت أيام موسم نزول الأمطار، والأرض ما تزال يابسة هامة مغبرة، والسماء ممسكة، والآبار تغور، والبهائم تشكو إلى ربها وتجور.

أيام الوم تمضي دون أن نرى سحاباً أو نسمع رعداً أو نشاهد برقاً، فإذا الناس مبلسون، وكالعادة حينما تأخرت الأمطار، وصارت الأرض هامة خرجت فئة قليلة من المسلمين تستسقي ربها؛ إحياء لسنة نبيها، وأملاً في خير ربها، والاستسقاء شعيرة لا يعقلها إلا العالمون، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، ولا يوفق لها إلا الأصفياء من عباد الله، ممن اختصهم الله برحمته، وللوقوف بين يديه والتضرع إليه.

وتخلفت الكثرة الغالبة، متعلة بأعذار أوهى من بيت العنكبوت، مصليات الاستسقاء تشكو قلة الواردين؛ لأنها ليست مقاهي يختلط فيها الرجال مع النساء، من أجل قهوة سوداء وعجينة بيضاء!.



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

فئة تخلفت لأنها تقول: كيف تستسقي الأمة ربها وهي لم تغير من حالها، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؟ وكيف تستسقي الأمة ربها وهي تجاهر بالمعاصي والمنكرات ولا تسعى لإنكارها، فكيف يرزقون؟!.

إن المرء ليعجب من هذا المنطق المعوج، والذي يتخذه الكسالى مبررا للقعود عن الشعيرة، والتخلف عن هذه العبادة، متى كانت المنكرات تعالج بهجر عبادة وتعطيل شعيرة، فنغسل البول بالدم؟!.

إن الذنوب والمنكرات تعالج باللجوء إلى الله والتضرع إليه، وهذه هي حقيقة الاستسقاء، فما الذي يمنعك أن تشهد الاستسقاء؛ لتستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات؟ وتجأر إلى الله أن يغيث القلوب، ويكشف الكروب، ويغفر الذنوب.

الاستسقاء -يا مسلمون- عبادة لا تؤدي بموجب قرار إداري، بل هي أمر ممن له الخلق والأمر؛ (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) [الأنعام: ٤٣]، وسنة أتقى البشر حينما يتأخر القطر وهي طاعة لله وخضوع لأمره؛ (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧١].



الاستسقاء شرع لإظهار العبودية الخالصة لله - سبحانه -، وربط القلوب به وتعليقها برحمته، بعد أن كاد اليأس يتسرب إليها ويلفها القنوط، والخلق خلق الله والأمر أمره، وبيده - سبحانه - كل شيء؛ (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [الشورى: ٢٨].

الاستسقاء إظهار للافتقار إلى الله، والتجاء إلى قدرته، وفرار إلى رحمته، والافتقار إلى الله من أخص خصائص العبودية، وحقيقته أن يجرد العبد قلبه من كل حظوظها وأهوائها، ويقبل بكلية إلى ربه - عز وجل - متذللاً بين يديه، مستسلماً لأمره ونهيه، متعلقاً قلبه بمحبته وطاعته، وإن لذة الحياة ومتعة الدنيا وجمال العيش وراحة النفس، هي في شعور الإنسان بفقره إلى ربه.

الاستسقاء إعلان لضعفنا أمام القوي، وفقرنا إلى الغني؛ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥]، ومن عرف قدر نفسه، وأنه مهما بلغ فيه الجاه والسلطان والمال فهو عاجز ضعيف، لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً؛ تصاغرت نفسه وذهب كبريائه، وذلت جوارحه، وعظم افتقاره لمولاه والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه.



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788

+ 966 555 33 222 4

info@khutabaa.com

في الاستسقاء يعلن المسلم عزمه على التغيير من المعصية إلى الطاعة، فهو يقلب رداءه تفاؤلاً منه بتغيير الحال، من الشدة إلى الرخاء، ومن المخالفة إلى الطاعة والامتثال.

تلك -يا مسلمون- حقيقة الاستسقاء، والتي فرغت من محتواها حينما تخلف عن شهودها كثير من الأخيار، وحتى طلبة العلم والدعاة، وحينما خلت من معاني الذل والافتقار للعزیز الجبار.

ويوم أن يعظم الناس هذه الشعيرة، ويسارعون إليها ويحيونها ويدركون حقيقتها، ويوم أن يظهروا تضرعهم وخضوعهم للخالق الرازق، حينها يرحم الرحيم ويتكرم الكريم، وإن ربي لطيف لما يشاء.

وثمت فئة تخلفت لأنها تحمل شعوراً بقلّة الحاجة إلى مطر السماء؛ فالمياه العذبة لا تنقطع عن بيوتهم، ومياه التحلية تصل من شرق البلاد إلى غربها، وإلى هؤلاء يقال: من يغذي الآبار إلا الأمطار؟ وما حالكم لو تعطلت محطة تحلية؟ وما وضعكم لو انقطعت شبكة المياه؟ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) [الملك: ٣٠].



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

ما الذي يخرج في الأرض زينتها وزخرفها؟ ما الذي يخرج نبات الأرض تأكل منه أنعامكم وأنفسكم؟ ما الذي يلطف أجواءكم ويغسل غباركم، ويقتل أوبئكم؟ (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: ٣٠]، (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [السجدة: ٢٧]، فهل ندرك بعد هذا حاجتنا لقطر السماء؟ وهل نتخيل وضعنا وحالنا لو جفت الآبار وانقطعت الأمطار؟.

هل نخلق في عالم الماضين لندرك كم هم يعانون؟ وهل نتجول ببصائرنا في عالم معاصرين يقفون طوابير أمام بئر ملوثة، وأمم تنشئ صراعات مع أخرى من أجل مياه، وأمم تموت عطشا من أزومات الجفاف؟ هل ندرك أنه لولا فضل الله علينا ورحمته، لتساقط الناس عطشا؟ لكن ربي بعباده لطيف خبير.

وثمت فئة ثالثة تخلفت، تحمل شعور اليائسين الغافلين عن سنن الله وحكمته في شريعته، تردد في جهل وضعف إيمان: لماذا نستسقي ونحن نذهب إلى المصلى والسماء غائمة، فإذا استسقى الناس انقشع الغمام وتفرق السحاب؟.



ولهؤلاء يقال: الاستسقاء تضرع ودعاء، والدعاء لا يخبى ولا يضيع، فإن استغثتم فلم تغاثوا، فلعل غيركم أغيث بدعوتكم، وكم من قوم سقوا بدعوة غيرهم، وإن لم تغاثوا فلعل الله قد ادخر الإجابة لحكمة يعلمها، فهو الحكيم العليم.

وإن لم تغاثوا قطراً، فلعل الله صرف بدعوتكم عنكم عذاباً وشراً، وإن لم تغاثوا فلعل الله أراد بذلك أن تكثرُوا من الدعاء، وليستخرج عبودية الخضوع من عبادته، وليسمع أنين التائبين وعبرات المذنبين؛ (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) [الفرقان: ٧٧]، (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الأنفال: ٣٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد: وفئة جاهلة بسنن ربها تنكر أن يكون الجفاف وانقطاع الغيث من تأثير الذنوب والمنكرات، مستشهدة بأمم



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

من الكفار تتوالى عليهم النعم ولا ينقطع عنهم الغيث مع كفرهم وضلالهم.

حقائق القرآن تعلن أن السماء لا تمنع خيرها، ولا تحبس خيراتها وقطرها؛ إلا إذا عمت الذنوب وانتشرت، وما ظهر الفساد في البر والبحر إلا بما كسبت أيدي الناس، قد نشهد في بعض الفترات أمماً لا تتقي الله ولا تقيم شريعته، وهي مع هذا موسع عليها في الرزق، ممكّن لها في الأرض، غير مأخوذ من الله، تفيض في أرضهم البركات، ولكن الناس إنما يستعجلون، إنهم يرون أول الطريق أو وسطه، ولا يرون نهايته والتي تُرى في مصارع الغابرين، بعد أن يصبحوا أحاديث.

إنهم يغفلون أن هذا ابتلاء؛ (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء: ٣٥]، إنهم ينسون أنه رخاء ولكن مشوب بالآفات، تأكله آفات الاختلال الاجتماعي، والانحدار الأخلاقي، أو الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان، كما هو الحال في دول الكفر.

نعم، إذا كانت هناك أمم لا تستقيم على هدي الله ثم تنال الوفرة والغنى، فإنما تعذب بآفات أخرى في إنسانيتها أو أمنها، أو



khutabaa.com

ص.ب 156528 الرياض 11788
+ 966 555 33 222 4
info@khutabaa.com

قيمة الإنسان وكرامته فيها، تسلب عن ذلك الغنى والوفر معنى الرخاء، وتحيل الحياة فيها جحيماً لا يطاق وعيشاً لا يحتمل؛ (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة: ٥٥]، أما إنها حقيقة لا تتخلف، الذنوب تهلك أصحابها، والذنوب سبب كل بلاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه.

كتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأحد قادة جنوده بعد أن تأخر عنهم النصر: "والله إني لا أخشى عليكم كثرة عدوكم، ولكني أخشى عليكم كثرة الذنوب"، أجل، ذنوبنا جنت علينا، وعلى بهائم وهوام وديدان تجأر إلى الله، وتشكو ظلم الظالمين ومعصية العاصين، والله الذي لا رب غيره، لولا لطف الله بنا ورحمته، ولولا شيوخ في ظلمة الليل قليلاً ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، ولولا أولو بقية من أهل الخير والصلاح، ومن الناهين عن الفساد، الأمرين بالمعروف والرشاد، ولولا أطفال رضع، وبهائم رتع لا ذنب لها؛ لما استحققت الأمة نصراً ولا قطراً؛ (وَلَوْ يُوَ أَخَذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) [فاطر: ٤٥].



لا بد -أيها المسلمون- من إحياء شعيرة الاستسقاء بمعانيها الحقيقية، وأهدافها العظيمة، وصورتها الروحانية، ومظهرها الشرعي، لا بد من خروج الكبار والصغار والنساء والرجال، والحيوانات والبهائم، ولا بد أن يكون العلماء والدعاة والكبراء في الطليعة حاضرين، وبقلوب خاشعة وعيون دامعة، وتذلل لرب العالمين، وبعزم على التوبة والتغيير.

وأخيراً -يا مسلمون- لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون، والليل الدامس بعده صبح سافر، والظلمة العاتية بعدها نور مشرق، والجذب القاحل يعقبه غيث مريع، وكل عسر بعده يسر، فله الحمد والمنة.

وإذا تفتحت القلوب للخير، وامتألت بخشية الله؛ تفتحت أبواب السماء، وتنزلت الخيرات والبركات، لقد قال ربنا: "أنا عند ظن عبدي بي"، وظننا بربنا أنه يجيب دعوة المضطر، ويكشف الضر، ورحمته وسعت كل شيء، وفضله عم خلقه، وهو بعباده لطيف خبير.

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com